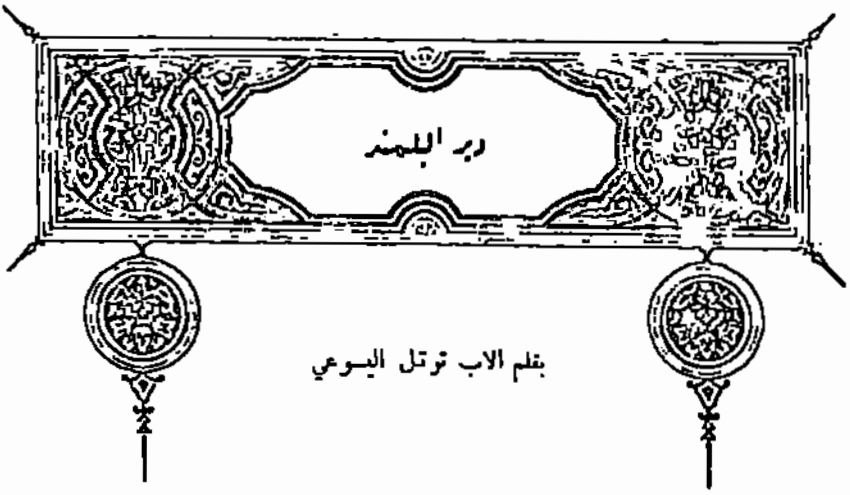

بقلم الاب توتل اليسوعي

في جنوب طرابلس الشرقي ، بين قريتي أنفـة وقلمون ، وعلى مشارف صخور تعلو سطح البحر بنحو مئتي متر ، موقع البلمند.

هذا الدير الجليل بآثاره هو خاصة الروم الارثوذكس ، لا يخالفهم عليـه مخالف ؛ وان نذره اليومَ بالفكر ونتخذه موضوعاً لمقالنا ، فلا غـاية لنا من ذلك الّا تعريف القرّاء باحد معاهدنا التاريخية . وممّا يشوقنا الى الكلام عليه ان اساقفة الروم لفتوا النظر اليه في هـذا العام ، لمّا اجتمعوا بين جدرانـه للتداول في شؤون ملّتهم وتمهيد السبيل الى انتخاب خلف للمثلّث الرحمات البطريرك غريغوريوس. واستهوانا في البحث على آثاره مؤلفٌ حديث نشره مسيو انلار احد العلماء الافرنسيين وعنوانه[1] : « بنايات الصليبيين الدينية والمدنية في الشرق ». خصّ فيه البلمند بفصل مطوّل عرض فيه ، مع تاريخ الدير ، عدداً غير قليل من صوره ورسومه. فلا اقلّ من التنويه به في هذه العجالة والاقتباس منه ما يفيدنا الوقوف عليه من تاريخ الدير . ولا اخالني متطفلاً اذا اشرت به على الروّاد والمصطافين ، طلّاب آثارنا المجيدة لانّ الضيف فيه مكرّم ولنا فيما كتبه انلار في مؤلفه المذكور (ص ٤٧) شاهد على ذلك. قال : « ان ضيافة الدير لا يضاهي كرمها الا روحها المسيحية التي قضيت اسبوعين في البلمند فحظيت لرهبانه الافاضل ، وللسيد الكسندرس رئيسه الوقور ، عواطف شكر لا مزيد عليها لمستزيد. »

---

(١) Enlart : *Les Monuments des Croisés* ; 4 Vol. Geuthner, Paris, 1925-1928

يتناول اولاً مقالنا تاريخ البلمند في القرون الوسطى فيبحث في اصله ونسبه وآثاره ، مخطوطةً ومنقوشةً . وثانياً تاريخه الحديث منذ دخله الارثوذكس الملكيون فاصبح « من اعظم واشرف اديرتهم في بر الشام »[1]

اصل البلمند

في كتاب « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » (المجلّد الاول ص ١٥٤ -- ١٥٦) ، خصّ حضرة الاب لامنس دير البلمند بدرس وجيز ، فقال ان هذا الدير يرقى الى الصليبيين ، وانه لولاهم لما رأى عالم الوجود . واثبت قوله بالادلّة التاريخية المأخوذة من اسم البلمند ، وآثاره المخطوطة والمنقوشة ، وانتهى الى هذه النتيجة : ان دير البلمند أنشئ في ٣٠ ايار من سنة ١١٥٧ ، وان رهبان القديس برنردس المعروفين بالسترسيين تولوا بناءه وجعلوه تحت حماية البتول الطاهرة سيدة بلمنت (Abbatia Belmontis) . وكان ذلك الكلام ردًّا على مقال ظهر في المنار ، في ٢٩ ك ١ سنة ١٩٠١ ، نسب فيه صاحبه خراب البلمند الى الصليبيين . على ان بعضهم لم يرضَ عن هذا الرأي . فنشرت مجلة الكلمة (١٩٠٧ ص ٢٩٥ الخ) « للاهوتي البارع الياس افندي اسطفان الحلبي » لمحة تاريخية عن دير البلمند اعاد فيه قول المنار بنسبة خراب البلمند الى الصليبيين وحاول تأييد حجته بالبراهين فقال :

« ان الصليبيين منذ تسلطوا على طرابلس الشام وجعلوها كونتية ، كما قالوا في ذلك العصر ، كانت الحرب بينهم وبين الاسلام قائمة على قدم وساق وامين منهم ان يشيدوا اديرة لاجل الرهبان الذين كانوا يقاتلون في سبيل تأييد سطوتهم والمحافظة على المدينة وخصوصاً فقد اشتدّ عليهم القلق من سنة ١١١٢ الى سنة ١١٨٧ ولم تكن الحرب وحدها التي اقلقتهم فقد حدثت سنة ١١٥٧ المزعوم فيها بناء الدير المذكور زلازل شديدة خربت القسم الاعظم من طرابلس وجوارها . . .

« فكيف نقبل انه في تلك السنة ، سنة حروب طبيعية وبشرية ، خرج فيها الفرسان ليبتنوا الحجارة التي لم يكونوا في مأمن من شرّها ، وكانوا في مأزق من الحسرات لخروج العرب الاسلام عليهم ، ومما جاء ضِغثاً على إبالة التحاسد

١) راجع مجلة الكلمة سنة ١٩٠٧

والتضاغن الذي وقع في ما بينهم »

وخلاصة كلامه ان الزلزال والحرب والفتن حالت دون بناية الصليبيين لدير البلمند . وان سألته عن تاريخه الاصيل قال :

« ان مائدة الكنيسة مرفوع فوقها قبة من الخشب مدهون داخلها وعليها آيات من المزامير وتاريخ ١١١٣ »

وكاني به قد رأى ذلك العهد قريباً من عهد الفتوحات الصليبية (لان بيروت فتحت سنة ١١١٠)فلم يقف عنده وحذف من ١١١٣ رقماً ، وقال: «انه عثر في زوايا الدير على صحن من نحاس قد اكل عليه الدهر وشرب وعلى دائرته كتابة كتبها الاتقياء الذين اوقفوه على دير البلمند مؤرخة لسنة ١١٣ فان حسبنا هذه السنة هجرية يكون زمن وقفيته سنة ٧٣٥ . . . »

واننا لنشكر للكاتب رزانته فلم ينسب الصحن المذكور الى ١١٣ ميلادية. ولكن في روايته من المستغربات ما يضطرنا الى نبذها . باي لغة كتب « الاتقياء » في السنة ٧٣٥م و ١١٣ ﻫ؟ أبالعربية ؟ ولغة القوم في لبنان كانت السريانية ! فمن اين للعامة ان تنقش نذوراتها باللغة العربية الاسلامية ؟ — وان كانت الكتابة المذكورة منقوشة بالسريانية او باليونانية فليس من المعقول ان يؤرخها اصحابها بالتاريخ الهجري على صحن يقدمونه هدية الى دير مسيحي. — اما المائدة المذكورة المؤرخة من سنة ١١١٣ فلم يذكرها الاب لامنس ، ولا العلّامة انلار في مؤلفه المنوّه به سابقاً . فاذاً ليس من الحكمة بان نسند الى التاريخين ١١٣ او ١١١٣ رأياً علمياً . مع كون الثاني يحكم باصل البلمند الصليبي. امّا قول الكلمة بعدم امكان الصليبيين بناية البلمند من جراء زلزال ١١٥٧ فليس فيه برهان البتة . واليك ما جاء في كتاب تاريخ الزلازل[1] :

سنة ١١٥٥ — حدث زلزال في انطاكية ودمشق وطرابلس قتل فيه اكثر من ٢٠٠٠ نفس.

سنة ١١٥٩ — حدث في سورية زلزال هائل لم تشاهد بلادنا مثله خربت فيه

(١ *Mémoire sur les Tercmblements de terre ressentis dans la Péninsule Turco-Hellénique et en Syrie, par* A. Perrey, *Bruxelles, 1850.*

دمشق وحلب وحماة وحمص وانطاكية وطرابلس ومات اكثر من ٢٠٠٠٠ نفس.

على ان المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ تلك النكبة الكبرى فمنهم من وضعها في سنة ١١٥٧ ، ومنهم في سنة ١١٥٨ ، ومنهم في سنة ١١٦٠. وليس الّا واحد روى تاريخ ١١٥٧. وهب ان الزلزال حدث سنة ١١٥٧ فلم يكن ليمنع وضع الحجرة الاساسية في البلمند لانهم لم ينجزوا عملهم فيه الّا ١٢ سنة بعد ذلك اي في السنة ١١٦٩ التي فتح فيها الصليبيون مدينة بانياس[1]

وفضلًا عن ذلك اننا لو قبلنا حجة الزلازل والفتن والحروب ، لنفينا بناء الصليبيين لاي معهد كان في مملكة اورشليم ، وقلنا بان عهدهم كان اشبه بعهد تيمورلنك والتتر . ولكن الواقع جاء خلاف الوهم :

وصف انلار حالة الصليبيين في القرن الثاني عشر فلم يوارِ المصاعب والمشقات التي حلّت بهم : من عدم توحيد الادارة بينهم ، وفقر الاراضي التي استولوا عليها ، وقلة عدد رجالهم بالنسبة لعدد الوطنيين ، وكثرة المخاطر والمخاوف التي كانت تتهددهم من فارس ومصر والشام ، وعدم وجود بحرية منظمة تخدمهم وتربط بينهم وبين بلادهم. ومع ذلك فلم يتمالك عن القول ان مملكة اورشليم بلغت درجة من النجاح جديرة بالذكر ، من العام ١١٣١ الى العام ١١٧٤ اذ غنم لها الملك اموري من حملاته على مصر غنائم كثيرة . فلا عجب ان يتمكن الصليبيون من بناء الكنائس والاديرة ومنها البلمند . فضلًا عن ان ايامهم لم تكن كلها حروباً وفتناً بل كان يتخللها سنو سلم وأمن ينصرف فيها الناس الى اشغالهم[2] . فيستبدل العسكر سلاحه بآلات البناء والصناعة ، ويعكف على الاعمال الفنية والعمرانية . والشاهد في ذلك ما رواه مؤلفو العرب فضلاً عن الافرنج. لان المسلمين لما استردّوا اورشليم دهشوا مما رأوه فيها من زخارف البناء وبدائع الفنون ، وابوا الّا ان يظهروا اعجابهم بما بهر عيونهم «من الرخام الذي لا يطرد ماؤه ولا يتطرد لالأوه ، والحديد الملطف في تجزيعه والمتقن في ترسيعه» فلم تكن الحروب مانعاً دون انجاز الافرنج اعمالًا عمرانية رائعة

١) راجع انلار ٣ : ٤٥

٢) راجع المختار من ترجمة صلاح الدين لابن خلكان. *Hist. Crois. III, 421, 425.*

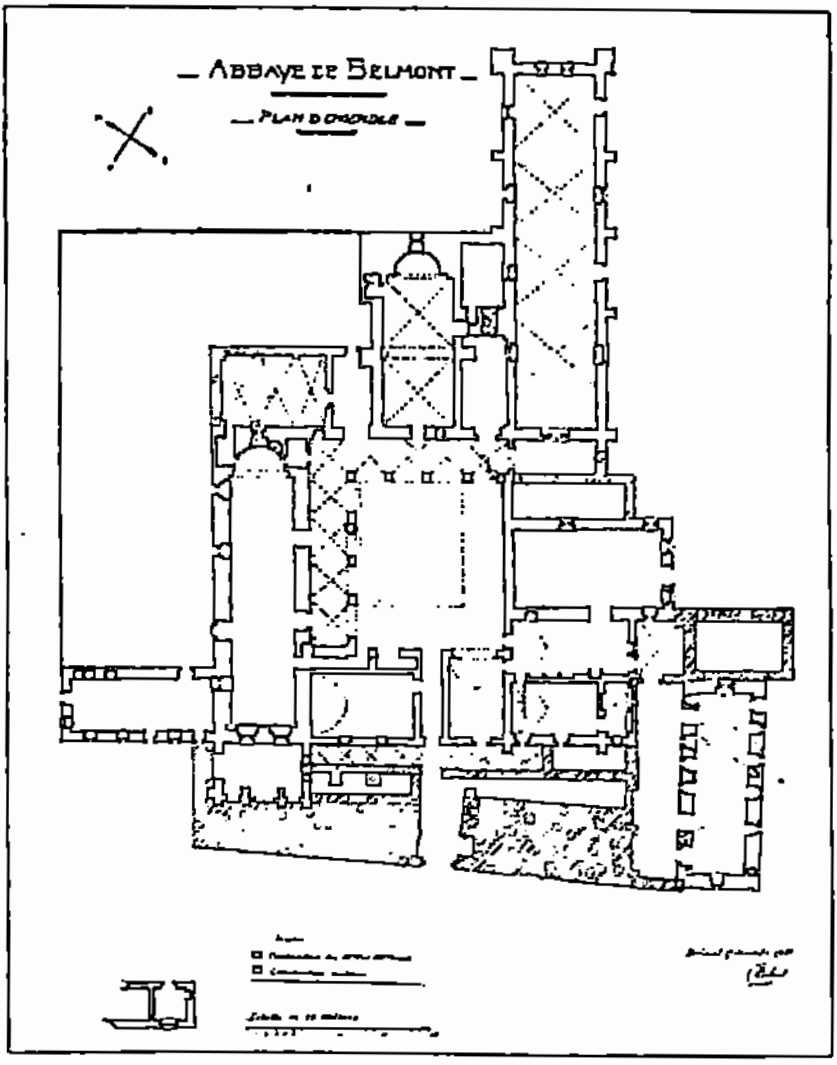

الرسم ١ : رسم عام لدير البلمند ، رسمه انلار في الدير نفسه سنة ١٩٢١

الاسود : يدل على البناء الراقي الى القرن الثاني عشر والثالث عشر
المخطط : يدل على بناء احدث من الاول

بما « لم تقوَ عصور الخراب على هدمه » (رنان) ومنها دير البلمند. وان افصح شاهد لفضلهم عليه هي آثارهم الثابتة الى يومنا وقد برزت الى النور باجلى مظاهرها ، على يد العلّامة انلار.

آثار الصليبيين في البلمند

منها اولًا الآثار الخطيّة المحفوظة في سجلّ وقائع الرهبان السترسيين السنوية ، جاء فيها ما يلي:

في السنة ١٢٣٨ عهد البابا غريغوريوس التاسع الى رئيس البلمند بامر الفحص عن قانونية انتخاب اسقف بيت لحم . وفي السنة ١٢٤١ ظهر في احدى الوثائق اسم الاخ توما والاخ لانتير « الكلارجي » كشاهدَي حال . ونال دير البلمند براءات من البابا اينوشنسيوس الرابع سنة ١٢٥٠ واوربانوس سنة ١٢٦٠ وجاء ذكر رئيسه في بعض الآثار الخطيّة سنة ١٢٠٨ فلقبوه « بريور » (Prieur) ، وذكر في غيرها من الآثار المؤرخة في سنة ١٢٣٨ و ١٢٥١ و ١٢٥٣ فلقب « ابا » (Abbé) . والفرق بين اللقبين ، في الارجح ، دليل على ان الدير الذي يرأسه الابا هو اعظم شأناً من الدير المنوط امره بالبريور ، فيبدو من ثم شأن دير البلمند في تلك الايام وما بلغ اليه من الاهمية في عهد الصليبيين . فلا يصح القول انه خرب على يدهم . وفي السجل المذكور آنفاً ظهر سنة ١٢٦٠ اسم « اسطفان » احد اخوة دير البلمند ، وذكر فيه سنة ١٢٨٢ اسم الابا بطرس الالماني ورفيقه سمعان الطرابلسي . وفي السنة ١٢٢٢ ارسل ابا البلمند تحريرًا الى رئيس اساقفة قبرس طالباً منه ان يعترف برئاسة رئيسة الراهبات السترسيات على نيكوزي في قبرس ، وذلك ايضاً مما يدل على اهمية الدير وعمرانه في عهد الصليبيين ، فليسوا اذًا هم الذين خربوه .

وبمرجب براءة اينوشنسيوس الرابع وضع البلمند تحت سلطان اسقف بيروت . وفي خريف ١٢٧١ كان في طرابلس ابا الرهبان السترسيين وهو رئيس البلمند فكتب: « لقد تأخرنا في مدينة طرابلس ولا نجسر ان نعود الى الدير ». وان آخر ما ذكر عن البلمند في ذلك العهد كان في السنة ١٢٨٧ ، ولا بد من ان رهبان اللاتين اجلوا عن الدير سنتين بعد ذلك . هذا ما لم يكونوا قد قُتلوا عند دخول قلاوون طرابلس سنة ١٢٨٩ . وان اسم البلمند في تلك الآثار القديمة التي بصورة بلمونت او فلمون او بوليو ، ومعناه الجبل الجميل ، او المقام

لجميل ، وهذا الاسم هو لاتيني الصيغة ، ومؤيد لقولنا ان اصل البلمند لاتيني.

ومما يزيل كل داعٍ للشك في صحة قولنا هي الآثار المنقوشة بزخارف البناء وفنونه الراقية الى القرن الثالث عشر ، الدالة على ان البلمند كان في ذلك العهد بحالة ازدهار ونجاح . تلك الآثار يجدها زوّار البلمند في يومنا بعضها مرصوصة بالبناية القديمة ، وبعضها نقلت من مكانها فاستخدموها في بنايات الدير الجديدة التي احدثت فيه منذ مستهل القرن السابع عشر وقد يتاح للقارئ ان يرى رسومها في هذا المقال . وتحقق ازلار ان احجار رواق الدير مأخوذة من البناية الغوطية الاصلية.

وقال في تاريخ البناية : ان عمار البلمند تمّ في القرن الثاني والثالث عشر ، وآثاره الاعرق بالقدم معاصرة لسني بنائه اي من ١١٥٧ الى ١١٦٩ ، والاحدث عهداً منها كانت قد تمت او كادت لما نُكب الصليبيون سنة١٢٨٩ في موقعة حطين.ولم ينفِ ازلار نفياً باتاً امكان وجود كنيسة بيزنطية في العصور الخوالي شيّدت من ثم على آثارها كنيسة البلمند السترسية.ولكن فن بناء الكنيسة الحالية لا يدع مجالاً للريب باصلها اللاتيني.

وقال في الكنيسة (ص ٥٠) : انها مثالٌ رائع للتقشف السترسي لانه ليس فيها الا رواق واحد وصدر واحد . اما سمك جدرانها فنحو المترين . والقبو علوه عشرة امتار ونصف متر وواجهة الكنيسة عرضها ١١ متراً ونصف المتر . وليس فيها مرتكز لا في الخارج ولا في الداخل . وليس تحت سقفها من قناطر تلهي النظر عن عراها الوسيع . وشبابيكها الثلاثة القديمة ، وبابها المسدود الواقع شمالاً مجردة من الزخارف.

وليس الشباك الكبير الاوحد في صدر الكنيسة هو دونها بساطةً . اما بناؤه فقد ترمم وشيد مجدداً في القرن الثالث عشر . ومن امثاله شبابيك موجودة في طرطوس وبيروت.

ومن آثار البلمند الشهيرة قبة الجرس وشأنها عظيم في نظر العلماء لانها نادرة من نوادر ما بقي من البروج الصليبية ، التي صبرت على حروب المسلمين

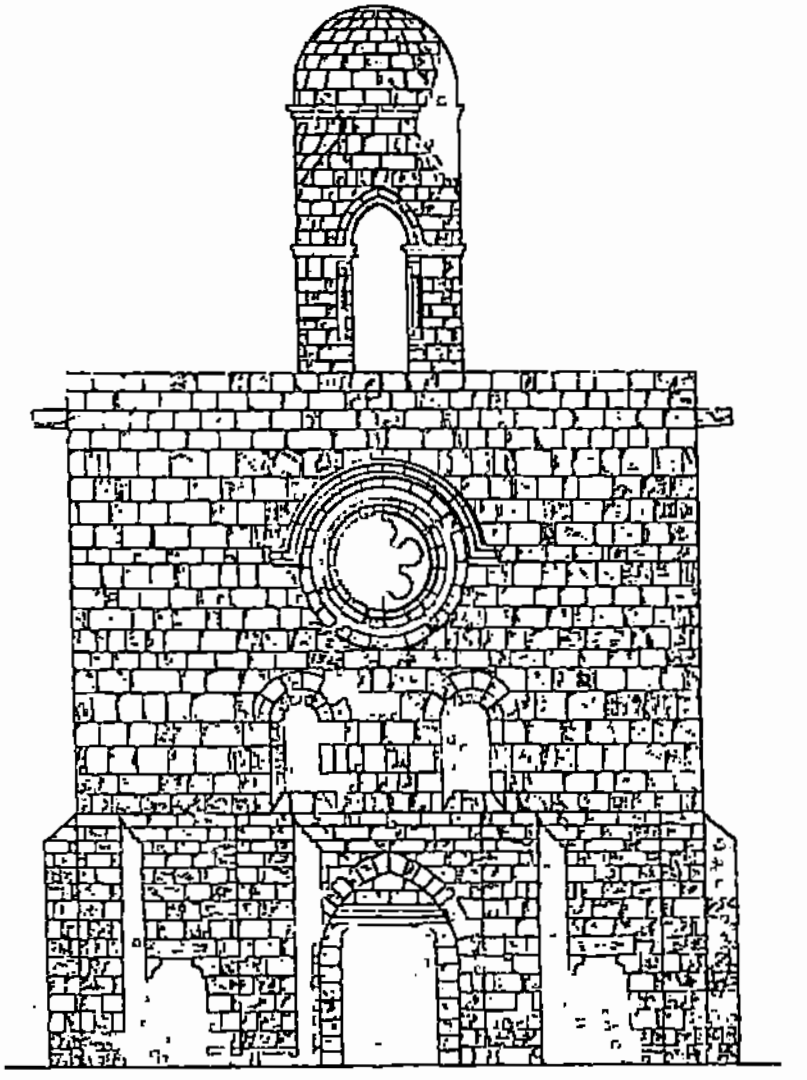

ارسم ٢ : واجهة كنيسة البلمند

كما رسمها انلار في الدير نفسه في ٦ كانون الاول ١٩٣١

وعلى الزلازل . والقبة الباقية الى يومنا من بناء القرن الثالث عشر ، اعني نحو مئة سنة بعد نهاية كنيسة الدير ، وهي على الطرف الشرقي من قبو الكنيسة (انظر الرسم ٥)

واطلق العلامة انلار قلمه في وصف الدير والكنيسة وملحقاتهما وصفاً علمياً مدققاً ، فرسم كل قطعة من البناء وكل عضو من اعضاء المعهد باسمه الفني ، وقد لا يهتدي الى فهم كتابه بكماله الّا المتضلّعون من فنّ البناء النظري المتذرّعون عليه بمعجم خاص.

واننا نعجب بغناء اللغة الافرنسية على ما يجد العلماء الاختصاصيون فيها من الالفاظ لكل فرع من فنونهم،ونتمنى للغة العربية ان يألف الناطقون بها تسمية تفاصيل الاشياء باسماء عربية ، على مثال اخواننا الافرنج ، اذا دققوا وتعمقوا في مباحثهم.

وحسبنا ان نحيل القارئ الى مؤلّف انلار فيتثبت بنفسه بانه لا سبيل بعد قراءته الى الشك بان البلمند من بناية الصليبيين . ونأتي الآن على البحث في تاريخه الحديث .

تاريخ البلمند الحديث

قال مؤرخ البلمند في مجلة الكلمة (ص ٣٧٩) : « فتشت اغلب المخطوطات المحفوظة في مكتبة الدير وعثرت على اسماء الرؤساء جميعهم فاني رأيت في كل كتاب عدة اخبار عن الرؤساء والزوّار الذين كانوا يزورون الدير ويطالعون المخطوطات فاقتطفت ما يناسب غايتي من تعريف اسماء الرؤساء من زمن تشييده سنة ١٦٠٣ الى اليوم.»

تتبع المؤلف وقائع الدير على توالي السنين ، فحصر همه في تأدية اسماء الرؤساء ، وذكر اعمالهم في سبيل انماء واردات الدير وتحسين احواله المادية . تلك كانت غايته.ولم يذكر شيئاً عن الحياة الروحية في الدير ، ولا عن الرجال الذين اشتهروا فيه بتقواهم ، ولا عمّا كان له من المكانة في تاريخ الشرق المسيحي . بيد انه من المعلوم ان في القسم الاول من القرن الثامن عشر ،

الرسم ٤ : شمسية تعلو باب الردهة الكبرى (من القرن الثالث عشر)

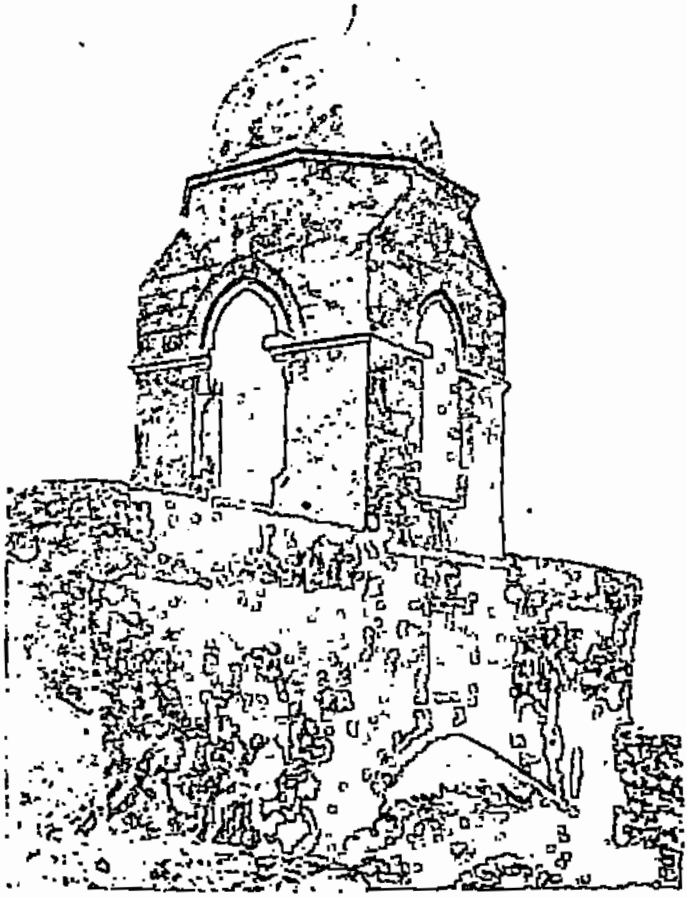

الرسم ٥ : قبة المدرسة الشيخية (من القرن الثالث عشر)

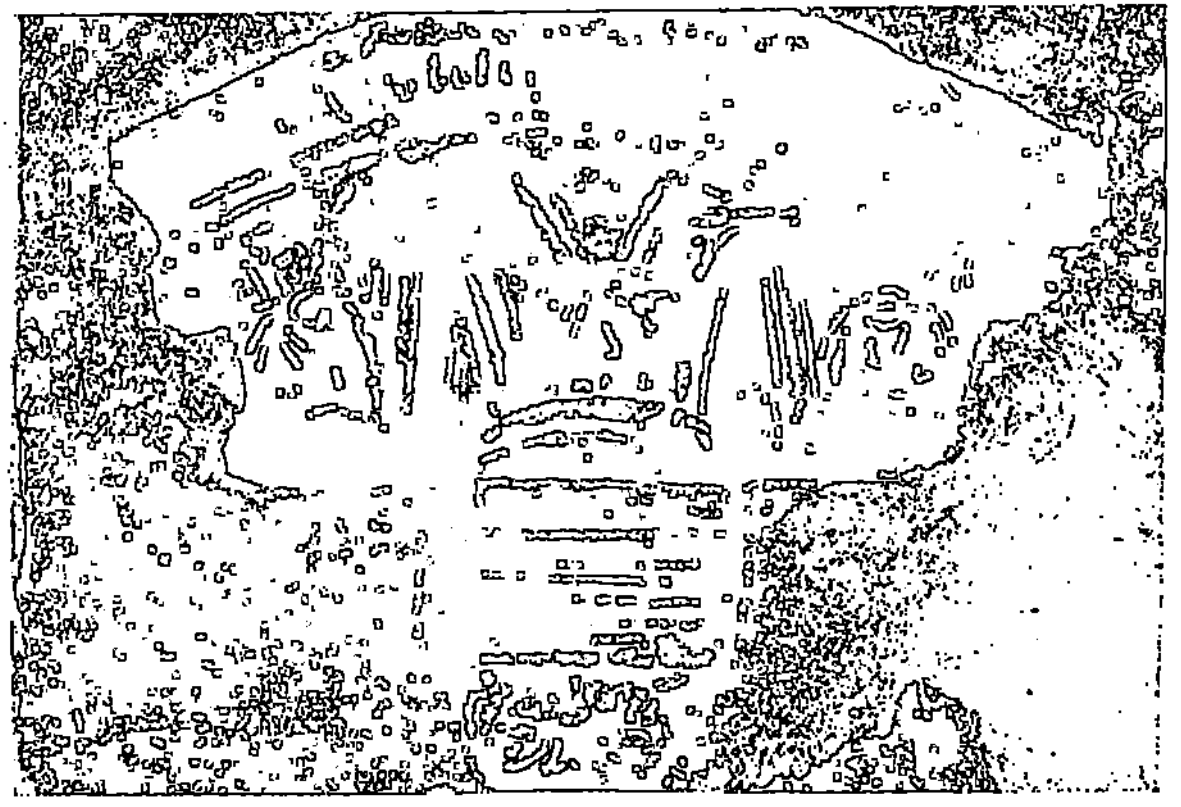

الرسم ٣ : قمة عمود مزخرفة موجودة في الجهة الشرقية من الدير (من القرن الثالث عشر)

حدثت في بلادنا وقائع لعب فيها دير البلمند دوراً مهماً . فضرب مؤرخه في مجلة الكلمة صفحاً عن ذلك ، وفيما هو يسرد حلقات السنين منذ اوائل القرن السابع عشر الى يومنا ، لما وصل الى السنة ١٧١٣ ، قطع السلسلة فاسقط منها حلقات ، ثم عاد وربطها عند السنة ١٧٤٩ . فلماذا اهمل تاريخ تلك الايام ؟

ان تاريخ الرهبانية الحنّاوية الكاثوليكية المنشأة في البلمند ، وغير ذلك من الوثائق تنبئنا بان وقائع خطيرة جرت في البلمند على تلك الايام . فنقبنا عليها ، ورويناها سداً للخلل الواقع في التاريخ الذي نشرته الكلمة .

حركة الكثلكة في البلمند

في اوائل القرن الثامن عشر كان في البلمند كاهنان ، اسمهما جراسيموس وسليمان ، درسا في معهد الآباء اليسوعيين في طرابلس ودخلا من ثم في دير البلمند . وكانا قبل دخولهما الدير قد تدربا في مسالك الحياة الروحية بارشاد الاب فرسو اليسوعي . فلما لبسا الاسكيم ظهرا قدوةً صالحة بين الرهبان ، فسُمح لهما الاتصال بالمكاتبة مع الاب فرسو . وما عتم ان جاء الاب بذاته الى الدير وصار يرشد الراهبَين ، ومن كان يحذو حذوهما في الغيرة على الحياة الكاملة . وما مضت ايام الا اصبح معظم الرهبان على الايمان الكاثوليكي . ولا عجب ، والسواد الاعظم من الروم الارثوذكس لا يكاد يرى فرقاً بين اعتقاده والاعتقاد الروماني .

وكانت في تلك الايام قد قويت حركة اتحاد الروم الملكيين برومة ، حتى ادّت الى اقامة بطريرك لهم مستقلّ بشأنه ، مما اثار زوبعة الاضطهاد عليهم من بطاركة اليونان فحرم البطريرك سلفستروس دير البلمند ليضطره الى العدول عن الكثلكة . وانقسم رهبان البلمند حزبين ، وما لبث ان قوي الحزب المتمسك بالانفصال عن رومة ، فالجأ الرهبان الكاثوليك الى الرحيل . فرحل هؤلاء بعدد تسعة ومن جملتهم جراسيموس وسليمان واسسوا الرهبانية الحنّاوية في الشوير[1] .

---

١) صدى الشرق ٥ : ٣٠

وقد شهد على صدق الحادثة بجوهرها القنصل الفرنساوي في حلب ، فكتب الى وزارة حكومته تحريرًا في تاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٧٢٥ قال فيه[1] .

« في ٩ تشرين الثاني من هذا العام وصل الى حلب البطريرك سلفستروس اليوناني الانطاكي . وفي اليوم التالي ، وكان يوم الاحد ، اصدر ٤٠ او ٥٠ حرماً ضد اربع كهنة كاثوليك من اهل طائفته في حلب ، وضد دير الرهبان الروم المعروف بالبلمند بالقرب من طرابلس ، وضد كل الذين يلبسون ثوب السيدة ويتمنطقون بزنار القديس فرنسيس او يشتركون باخوية الوردية عند الموارنة . »

هذه الحوادث سكتت عنها مجلة الكلمة ثم قالت :

« وفي السنة ١٧٩٢ سرق الرهبان الحلبيون مطبعة البلمند ومضوا بها الى مار يوحنا الصابغ في الشوير . »

ولكن لا اساس لشكواها ، لان المطبعة خاصة عبدالله زاخر الشماس الحلبي ، فانه صنعها بيده وكانت مقتناه الشخصي . وقد اتيح لنا ان نشاهد بقاياها ابان زيارتنا لدير مار يوحنا الصابغ في الشوير في العام الماضي . وفيما رأيناه من جملة آثار تلك الايام صورتان احداهما تمثل قلب يسوع والاخرى سيدة الكرمل ، وكلتاهما اتى بهما الرهبان الشويريون عند نزوحهم من البلمند ، ووضعوهما في ديرهم اساساً لرهبانيتهم .

سكتت مجلة الكلمة عن هذه الاخبار . على انها في مجلدها العاشر في ص ٦٠٨ ، اسهبت في الكلام على بعض ما جرى من التجدّد الرهباني في اوائل هذا القرن . وقد يفيدنا النظر فيه لنقف على اصل الحركة الاصلاحية العصرية في طائفة الروم الارثوذكس .

حركة الاصلاح

في السنة ١٩١٣ حاول بعض سكان الدير انشاء جمعية اصلاحية ، فتحالفوا

١) مجموعة رباط *Documents inédits* ، ص : ٥٨٦

عليها وكتموا امرها حتى اصطبغت بصبغة الجمعيات السرية. واليك اسماء اعضائها كما ذكرتهم مجلة الكلمة (١٠: ٦٠٨) : القس رفائيل نمر (ومن ثم مطران حلب) والشماس غرائيل كردوس (ومن ثم مطران طرابلس) والشماس ايصائيا عبود (ومن ثم ارشيمندريت ورئيس دير مار جرجس الحميراء) والشماس رزق‌الله ابو حطب. وقد اسسوا هذه الاخوية في دير البلمند، واقسموا على انهم يضحون كل نفيس وغالٍ في سبيلها، وقرروا ان تبقى سرية خوفاً عليها من سطوة الرؤساء وبطش الكبار. فاستنكر البطريرك تأسيس الاخوية معتقداً ان الماسونية هي التي وضعت اساسها ورسمت خططها، فامر بوجوب الغائها «متذرعاً بالضغط على اعضائها. فخافوا وتظاهروا بالخضوع لكنهم تعاهدوا سراً على الثبات في مبدأهم حتى الممات» (الكلمة ٩: ٦١٠) واختلف الاساقفة على امر الاخوية، اما الشعب فاستحسن مبدأها.

فعاد رجال الاخوية يسعون في سبيل تحقيق امانيهم وقالوا: لقد نشأنا في معهد واحد ونحن اخوان. فهلمّ نبنِ بناية جميلة على اساس المحبة الصادقة والتعاون الاخوي حتى اذا ما كبرنا وصارت الينا مقاليد الامور كنا اعواناً على الدهر واصلحنا الحال. وان دعا مركز ما واحداً منا لاشغاله ساعده الاخرون للحصول عليه. وفكروا بالطريقة المؤدية الى الاصلاح الطائفي وهو ضالتهم المنشودة فرأوا انهم لا يبلغونها الّا بتأسيس مدرسة مجانية داخلية عليا، والسعي في سبيل توحيد الاديرة وتأسيس رهبنة ارثوذكسية. ولكن هيهات ان يتم اصلاح في كنيسة الله من غير ان ينشأ فيها بقوة مؤسسها الالهية، وبالطرق الاصولية القاضية على الجسم بان ينال حياته ونوره من رأسه. فلم تنجح مساعي الجمعية الاصلاحية لا باحياء مدرسة مجانية داخلية، ولا بتأسيس رهبانية ارثوذكسية. وجلّ ما صدر عنها، على ما يبدو للعين من احوال الطائفة حالًا، انها هيّأت الافكار الى التساهل الديني الى درجة اصبح فيها الرجل الماسوني المعروف موشحاً لمراتب الكنيسة العليا وله بين اصدقائه واوليائه مناصرون على امره.

وما اشد احتياج المسيحيين الى رجال مخلصين للمسيح في هذه الايام

العصبية الطاغية فيها امواج الفتور الديني المؤدية بالنفوس الى نبذ الايمان والى الكفر . وما اعظم افتقار المسيحيين الى رجال فضل وتقى متأهبين بالصلاة والحياة النسكية لان يكونوا قدوةً للشعب ، ورعاة لخراف المسيح .

اننا من صميم القلب نسأل الله ان يقيم من امثال هؤلاء الرجال في مصاف اخواننا الروم ، ويؤيدهم بحكمته ونوره ، ويزينهم بالفضائل الانجيلية التي تزدهر بها الحياة المسيحية وتنمو ، حتى اذا اضطرمنا اجمعين بمحبة واحدة للرب يسوع تقربنا الى وحدة الايمان تحت رعاية الراعي الواحد . ومما يزيدنا املاً بتحقيق هذه الاماني ما كتبه العلّامة انلار على دير البلمند من كلمات عسجدية نقلد بها ختام مقالنا ، وهذه هي: « ما زال دير البلمند مقاماً للاعتزال عن العالم هادئاً ، صالحاً للحياة النسكية فان الاكباب على الدرس والمطالعة ، وممارسة الفضائل يجملانه بستاناً مزدهراً على الدوام . »

الرسم ٦ : مسند لاحدى القناطر
(من اوائل القرن الثالث عشر)